DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

الاستعارة المجازية لبوصلة السندباد وأدواته في المتاهة الرقمية لعصر الذكاء الاصطناعي

د. داني أبي كرم
- قسم تكنولوجيا المعلومات، كلية ليوا، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة
- قسم الفنون الإعلانية والتواصل البصري، كلية الفنون الجميلة والعمارة، الجامعة اللبنانية، طرابلس، لبنان
البريد الالكتروني: dany.abikaram@lc.ac.ae

د. رياض بن عمر
قسم الاعلام، كلية ليوا، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة
البريد الالكتروني: ryadh.amor@lc.ac.ae

الملخص

ما يطرحه هذا البحث هو استعارة مجازية فلسفية لرحلات السندباد البحري قبل وبعد العولمة مع التركيز على أهمية المغامر كرمز للسفر والتواصل وتقريب المسافات، مع ما ينتج عن تبدلات الفضاءات ومقاربتها الزمانية بين خيال الأمس والذكاء الاصطناعي اليوم. وقد اتخذ الباحثان من السندباد موضوع دراسة وصفية تحليلية مقارنة خلصت الى اثبات أن السندباد كان ولا يزال مسافرًا افتراضيًا وصلة الوصل بين كافة المتغيرات، والفضاءات والأزمنة.

استنادًا إلى الرمزية الأيقونة للسندباد واسقاطاتها على المجالات التجارية الخاصة بخدمات السفر والتواصل اللوجستي بين الدول برًّا وبحرًا وجوّا متجاوزًا الحدود المكانية للفضاءات الكونية، يقدم هذا البحث رؤية فلسفية توضح المراوحة بين ما هو خيالي في حكايات السندباد سابقًا وبين ما هو رقمي افتراضي في وعصر العولمة الحالي، حيث استبدلت أدوات السفر بأخرى حديثة تعتمد على التكنولوجيا الرقمية والذكاء الاصطناعي.

وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها: أن الخيال دعامة أساسية في أدب الرحلات يطعمها بنكهة خاصة. وقد أصابت كل رحلة هدفًا في مرمى الأنسان ونبض الحياة معًا، فالسفر لا يمكن أن يتوقف عند طرف مشاهداته إنّما يتخطّاها من أجل الوصول الى المبتغى. ولإن أصبحنا اليوم نسافر افتراضيًا عبر سجادة الرقمنة في عالم لا حدود له، فإنّ سفرة السندباد سفرة دائمة لا بوصلة لها، إنّها سفرة الحياة في ارتقاء دائم للذات الإنسانية، الى مكانة أسمى حيث كلّ شيء مختلف ومطعّم بنكهة الفردانيّة البراغماتية في عصر اختلفت فيه المعايير، وألبسته المفاهيم حلّة جديدة.

كان الخيال دائماً جزءاً أساسياً من أدب الرحلات، مما أضاف تميزاً لرحلات السندباد. السفر، بالنسبة له، كان وسيلة لتحقيق النضج واكتشاف العالم رغم المخاطر. بوصته كانت مختلفة ورحلاته تعبيراً عن سعي دائم لترقية الذات الإنسانية والوصول إلى مراتب أسمى. بينما تغيرت معايير السفر وأدواته في العصر الحديث، بقيت رحلات السندباد مثالاً على المغامرة الفردية المستمرة نحو تحقيق الذات، في زمن تغيرت فيه المفاهيم وأصبحت الطقوس أكثر حداثة.

الكلمات المفتاحية: السندباد، المتاهة الرقمية، السفر الافتراضي، الذكاء الاصطناعي.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

The Metaphor of Sinbad's Flying Compass in the Digital Labyrinth of the Artificial Intelligence Era

Dr. Danny Abi Karam
- **Department of Information Technology, Liwa College, Abu Dhabi, UAE**
- **Department of Advertising Arts and Visual Communication, Faculty of Fine Arts and Architecture, Lebanese University, Tripoli, Lebanon**

Email: dany.abikaram@lc.ac.ae

Dr. Riyadh Ben Omar
Department of Media, Liwa College, Abu Dhabi, UAE
Email: ryadh.amor@lc.ac.ae

ABSTRACT

This research presents a philosophical metaphor that explores the journeys of Sinbad the Sailor before and after the era of globalization. It emphasizes the significance of the adventurer as a symbol of travel, communication, and the shrinking of distances, examining the transformation of spaces and their temporal closeness from the imagination of the past to the realities of artificial intelligence today. Through a descriptive, analytical, and comparative study, the researchers argue that Sinbad has always been, and continues to be, a virtual traveler and a connector across various variables, spaces, and times.

Based on the iconic symbolism of Sinbad and its implications for the commercial sectors of travel services and logistical communication across land, sea, and air—extending beyond the spatial boundaries of cosmic realms—this research offers a philosophical perspective. It highlights the shift from the imaginative elements in Sinbad's tales of the past to the digital and virtual realities of the current era of globalization, where traditional travel tools have been replaced by modern technologies grounded in digital advancements and artificial intelligence.

The study found that imagination is a key element in travel literature, giving it unique depth. Sinbad's journeys symbolize an ongoing quest for self-improvement and discovery, transcending the limitations of their time. While today's virtual travel offers a borderless experience, Sinbad's adventures stand for a timeless pursuit of personal growth. Despite changes in travel standards and tools, Sinbad's journey remains a symbol of individual exploration and self-realization, reflecting the evolving nature of travel and its modern interpretations.

Keywords: Sinbad, The Digital Maze, Virtual Travel, Artificial Intelligence**.**

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

المقدمة:

حوالي سنة 750 م، وجد بني العباس في العراق موطنًا زاخرًا بالخيرات والموارد الطبيعية، ما حمل الخليفة العباسي الثاني المنصور اختيار بلاد ما بين النهرين وضفاف نهر دجلة تحديدًا لإقامة عاصمته بغداد. حظيت المدينة من المجد والشهرة ما يكفي لتربعّها على عرش التراث الإنساني عالميًا وخصوصًا لارتباطها بإسمي هارون الرشيد وألف ليلة وليلة تحديدًا. وصف بغداد أتى على لسان ابن حوقل في كتابه المسالك والممالك كونها مدينة حديثة في الإسلام بناها الخليفة المنصور على الضفّة الغربية لنهر دجلة، و"جعل حواليها قطائع لحشمه ومواليه وأتباعه كقطيعة الربيع والحربية وغيرهما ثم عمرت وتزايدت"، (ابن الحوقل، 1873، ص 164) وأتى الملك المهدي ليبني الجهة المقابلة الشرقية حيث أدّى التزايد السكاني والتضخّم العمراني الى نقل "اسم الخلافة صوب الجانب الشرقي". (ألف ليلة وليلة، المجلد الرابع، ص 300) أرستقراطية، حالمة وأنيقة، باتت بغداد هارون الرشيد مركز الخلافة، وعاصمة الدولة العربية، التي لامست طرفي أوروبا والشرق الأدنى. في هذه البيئة، ولد السندباد، مغامر انطلق من زواريب بغداد وحاراتها المتلاصقة الى فسحة المحيط الواسع، متحدياً المخاطر والكائنات العجيبة، ضمن رحلات سبع، خلّدتها الشهرزاد في قصص ألف ليلة وليلة.

في قلب مدينة بغداد تتّقاطع الأسواق فيما بينها، ويتشعّب السوق وتتداخل حاراته ودكاكينه، ويلتمس الحلاقون أطراف الحديث من كبار القوم الزبائن، ويدخل الحمّالون مباشرة في الأفعال، ويساعدون في توليدها وتعزيز قرائنها وتتبادل أدوار الشخصيات وأماكن وجودها. فلا الحارس في مكانه المعهود ولا سمسار السلطان ولا عزيزًا "الداخل والخارج من الحمام كلّ يوم جمعة والذي رغب جراء حرارة الحمام في الجلوس على مصطبة عند الطريق الى المنزل، ويغفو قليلًا" (الموسوي م. ج. 2016، ص 284) ليفوته الزواج من ابنة عمّه ما يؤدي الى تسلسل المغامرة من جديد. في هذا الجو العابق برائحة التجارة والسمسرة وتقصّي الأخبار، جال الرشيد لتقصّي أحوال المدينة ومعرفة غيبها وامتزاج آراء روّادها، وإنسلّ من بلاطه مركز القوة والسلطة، ليلاقي أشخاصًا من مركز مغاير وثقافات متباينة إنّما لكلّ فاعل في محيطه، وقوي جبار قوة السلطان وجبروته في مملكته الخاصة خلف أسوار باسقة. وقد حافظت بغداد على مكانتها العالمية حتى اندحارها سنة 1258 م على يد حفيد "جنكيزخان"*، "هولاكو المغولي"*. وكانت محطة تلاقي للطرق البرية والبحرية، ومكان تلاقي وتواصل الشعوبحتى العربية منها من مختلف الجهات، وبهذا أضحت نسخة مصغرة عن الخلافة العباسية المترامية الأطراف نفسها، ومركزا تجاريا مهما، وكنزا من العلم والمعرفة كما الثروة والمجد والرخاء، والعمل جار على الدوام من نجارة وبناء وحفر ورسم وخياطة وصناعة يدوية وتجارة الى يد عاملة يوميّة توزّعت على طول الرصيف البحري، وضمّت الحمالين وعمال السفن وملاحيها، سفن شراعية بعضها احتوى على حوانيت لابتياع الركاب حاجتهم منها. ويبقى القول إنّ هذه السفن حملت رحالة مغامرًا استثنائيا اسمه السندباد، انطلق من زواريب بغداد وحاراتها المتلاصقة الى فسحة المحيط الواسع، آسرا لبّ القارئ بما واجهه من أخطار، وكائنات عجيبة، وسحر وشعوذة. ومن هذا المنطلق، نسعى في بحثنا هذا الى الاجابة عن التساؤل: هل تغيرت مفاهيم السفر وأدواته عبر الأزمان، وطبعاً آخذين بالاعتبار قدوة السندباد نهجاً وأسلوباً؟ وكيف أهدى الأخير بضوء منارته آلاف السنابذة لبلوغ شط الأمان؟

وجاء هذا البحث من أجل إلقاء الضوء على دور السندباد المفصلي في تحفيز الرغبة الكامنة في النفوس من خلال تحقيق الأهداف مع ما يلازمها من تكبد المآسي وتحمل أهوال الخطر، وتمَّ تقسيمه إلى مبحثين أولهما "الإطار النظري" والمبحث الثاني بعنوان " السفر في زمن الذكاء الاصطناعي والعولمة".

مشكلة البحث وتساؤلاته:

بأدوات بسيطة، أبحر السندباد في الماضي من دون ألواح ذكية أو أجهزة استشعار، أو حتى جوّال في زمن كان التلفظ بمجرد كلمة ذكاء اصطناعي يعدّ ضرباً من ضروب الخيال. إبّان سفراته المتلاحقة، تنقّل السندباد بين أماكن وفضاءات عديدة، اختلفت تسمياتها وخصائصها وتنوّعت بين ما هو منفتح ومغلق، جامد ومتحوّل، اصطناعي وطبيعي، داخلي أم مشرّع على الخارج. ونغمة المكان في رحلات السندباد البحري تتوزّع على وتريّ الواقع والخيال، وتتماهى بينهما ساحرة لبّ المتلقي المستمع ناقلة إيّاه الى عالم حافل بالعجائب والغرائب. أما اليوم، وبعد أن اجتاح تسونامي العولمة السفينة ومن فيها، يطرح الباحثان اشكاليات تتمثّل في النقاط التالية:

1. هل حافظ السندباد على دوره كرمز للسفر في الزمن الحالي، أم أن الوجهة تغيّرت واختلفت الأدوات؟

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

2. هل تاهت بوصلة السندباد، وتبدلت أداور الربان وهويته، نتيجة تأثره وتفاعلاته مع فضاء مختلف ومحيط زاخر بكل أنواع الرقائق الالكترونية والمجسمات الآلية بدل الكائنات البحرية المخيفة وحوريات الأعماق السحيقة؟
3. أم انه أدى دوره البراغماتي جيداً بين الماضي والحاضر؟
4. إنّ البحث عن الهوية في عمق الذات لأساس، فهل يمكن أن يكون الفرد سندبادًا معولمًا يختصر الحدود والمسافات ويحوي بداخله الشعور الحسّي بالإنسان القادر؟ وذلك في خضم خوض مجال ومعترك الحياة في منظومة تضمّنت صراع حضارات وأديان مفتوح على شتّى الاحتمالات؟
وفي هذا الإطار، يأتي تساؤلنا عن دور السندباد المحوري في التأثير على عزيمة الآخرين بغضّ النظر عن مرجعية الفضاءات وتفاعلات الزمان وتبدلات الأمكنة.

أهداف البحث:

يهدف البحث الى:
- القاء الضوء على هوية السندباد ودوره كرمز للسفر والتواصل عبر المحيطات في خطوة لتقريب المسافات والغاء الحدود بين الدول.
- كيفية لعب دوره، وبأدوات بسيطة، حتى قبل تغلغل التكنولوجيا الرقمية وأدواتها، ولا سيما الذكاء الاصطناعي، في مختلف القطاعات والمجالات الحيوية في المجتمع.
- مقاربة هويته وأهدافه مع مثيلاتها الحالية وأهداف الفرد المعاصر في زمن العولمة.

أهمية البحث:

1. كونه يقف على مفترق طرق وسط عالم جديد لعبت فيه العولمة دورًا محوريًا وحفل بالتفسيرات والمغالطات، كلّ حسب أهدافه واحتياجاته الشخصيّة، فأتت هذه الدراسة، لتوضح حيثية السندباد، وتفاصيل أسفاره ومكنوناتها، ولتوضح مفاصل التناغم والتباعد فيما بين مفهوم سفرات الأمس واليوم في وقت يشهد العالم تغيرات جذرية على كافة الأصعدة.
2. تبيان فائدة العولمة القيّمة، من حيث تحفيزها انتشار المعرفة والتكنولوجيا بنسبة عالية، ما يؤدي الى نشر النمو والازدهار عبر جميع أقطاب العالم. وقد سعى الباحثان الى القاء الضوء على رحلات البحار السندباد ودوره ضمن منظومة السفر كأداة أساسية للتواصل في المجتمع.
3. التركيز على أداة الربط بين دور السندباد وأهدافه وبين غاية كل فرد من أفراد المجتمع. صحيح، لكل زمان وسائله، ولكن تبقى الغاية واحدة مهما اختلفت الأدوات. ومن وضع نصب عينيه الأفق هدفاً، وحمل في نفسه روحاً متحررة وشوقاً الى الانفلات، يوازي تماماً شوق الجني القابع في عتمة القمقم الى الحرية وضوء النهار، هو انسان لا يعرف الفشل، ولا يرضى بالخنوع وسيلة. انسان يكافح الخطر، وبما تيسر له من الأدوات المتاحة، رقمية ام لا، لا فرق طالما أن هذه هي سنّة الحياة.

منهج البحث:

يرتكز هذا البحث على المنهج المقارن الوصفي التحليلي في الدراسات الاجتماعية. وهو المنهج الذي يساعد على تفكيك المشكلة المطروحة والاتيان على مختلف جزئياتها مع سرد التفاصيل المتعلقة بها من قريب أم من بعيد. لتتم المقارنة فيما بعد بين ظاهرتين مغايرتين ضمن مساحتين واطارين مختلفين تماماً، حيث يتم ايجاد أوجه وعناصر التشابه والاختلاف بعد جمع كافة البيانات والمعلومات المتصلة، بغية الوصول الى حلول منطقية وحقيقية. وركّز الباحثان على دور السندباد كعامل جذب والهام لعشاق المغامرة ومحبي الترحال والسفر وصولاً الى اعتبار رحلة الحياة سفرة حتمية لا بدّ منها، ربّانها الفرد وسلاحه المعرفة.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

فروض البحث:

ف 1: يدخل السندباد وحيداً على العولمة من بوابة مسارات الانفتاح بين شعوب العالم في المجالات الاقتصادية والثقافية كافة. وقد أدى دوره جيداً من ناحية تقريب المسافات والانفتاح على حضارات أخرى مختلفة، والتصاهر معها أحياناً، عائداً بالظفر والغنائم الى موطنه الأم، بعد كل رحلة.

ف 2: وسندباد اليوم ليس إنسان الحداثة، المنغلق على نفسه وهويتّه، هو على النقيض تمامًا، إنسان الاختلاف والتميّز، الباحث دومًا عن الانفتاح وعن الحرية، ذو فكر واع قادر على الاندماج في ثقافات الغير أينما وجدت. يبحث عن الفضاء بدل الأماكن الضيّقة، وعن الوجود خارج نطاق العالم المعروف.

ف 3: وهو يختلف عن سندباد الماضي في جوهره الأساس، فالسندباد العربي تائه في دوامة تناقضات هذا العصر، الى أن تاه السبيل في بحر العولمة، وتقاذفت به المصائب الواحدة تلو الأخرى وأدار بوصلته بحثًا عن هويته الحقيقية من دون جدوى، فأصبح في نظر الكثيرين رمزًا للخنوع والفشل، غير قادر على الصمود أمام أمواج هذا العصر المتلاحقة.

مصطلحات البحث:

السندباد: هو شخصية أسطورية من شخصيات ألف ليلة وليلة، حكتها شهرزاد للملك شهريار في محاولة الهاء عن الاعدام بالسيف. بحار مغامر، خاض سبع رحلات تكلّلت جميعها بالعودة سالماً، مثقلاً بالهدايا والغنائم، الى وطنه الأم: بغداد.

سيميائية الفضاءات: وتعني دلالات الفضاء من زاوية الممارسة الاجتماعية في علاقة بالصلة الاجتماعية ضمن إطار التفاعل والتواصل أو التبادل الاجتماعي بين مجموعات من اللغات والأنساق المختلفة.

العجيب: هو المستحيل والفوق الطبيعي واللا مألوف، حيث لا توجد حدود ولا معايير ولا سلطة عقل لمنع الفعل أو حدوثه. ويمكن استعمال المصطلح في حالة وصف لشيء يثير الاعجاب أو الدهشة.

الذكاء الاصطناعي: يعرف بأنه الذكاء الذي تبديه الآلات والبرامج بما يحاكي القدرات الذهنية البشرية وأنماط عملها.

حدود البحث:

تتمثل حدود البحث بدراسة تحليلية لفضاءات سفر السندباد من مرجعية وتخيلية وعجائبية مركز انطلاقها مرفأ البصرة في العراق تحديداً.

الحدود الزمنية: تتحدد الفترة الزمنية للبحث بين أعوام 786-809 م أيام حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد وبين عصر العولمة الحالي.

الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت موضوع السندباد كونه رمزاً للسفر ومثالاً يحتذى في حب المغامرة وركوب الخطر، أو حتى استخدامه في الشعر بمفهوم القناع والتخفي عند بدر شاكر السياب وغيره (قدور، سكينة، 2010، ص 243).

الا أن قلة لا تذكر، تناولت أسلوبه غمزاً من فضاء العولمة ومنظومة الذكاء الاصطناعي ودوره في التأثير على هوية الأفراد.

الدراسات:

1. دراسة سنة (2007) بعنوان " قصة السندباد البحري كما يتناولها النقد المعاصر." (للسيدة أنوار حمود مسعود الصالحي- أ. م. د. مؤيد عبد الوهاب السامرائي- جامعة تكريت -كلية التربية/ سامراء) وهدفت الدراسة إلى التعرف على مضامين رحلة السندباد البحري وتبيان أهميتها مع التدقيق في مضامينها وأهدافها أيضاً. وتوصّلت الدراسة الى النتائج التالية:

- تتميّز قصّة السندباد بقوّة السرد الحكائي، فضلاً عن قدرة في الايحاء بالجو البحري الصادق

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

- صوّرت هذه القصّة تفاصيل شخصية السندباد، وحب المغامرة لديه الذي تغلّب على حياة اللعب واللهو، فكانت نفسه توّاقة الى ركوب المخاطرة سبيلاً للخلاص من حياة الفساد والانحلال.
- شكّل السندباد، بما مثّله من شجاعة ووفاء وأخلاقيات، صورة حيّة لما كانوا عليه تجار ذلك الزمان.
- ابراز مدى تأثير قصّة السندباد ليس في عالم الأدب فقط، انما في عوالم الموسيقى والغناء والمسرح .

2. دراسة سنة (2022) بعنوان: البنية السردية في حكاية السندباد البحري لكامل كيلاني. وهي "دراسة تحليلية سردية- تزفيتان تودوروف (اعداد: عرفين نور فائزة). وهدفت الدراسة إلى تبيان عناصر حكاية السندباد البحري السردية مع تحديد الجوانب الدلالية والنحوية، وجانب جوانب الأفعال: الخطاب والحبكة .
وتوصّلت الدراسة الى النتائج التالية:

- تتكوّن الجوانب الدلالية في حكاية السندباد البحري من الموضوع والشخصية ومكان القصّة.
- الجانب النحوي، أي الحبكة، عبارة عن حبكة ثابتة مترابطة.
- جانب الأفعال يتكوّن من :

أ. جانب الخطاب وقوامه الأسلوب السرد القصصي .
ب. جانب الحبكة ويناقش تدفق الوقت في الخطاب الخيالي .

3. دراسة سنة (2014) بعنوان " ظاهرة تجميد الرمز في الشعر العراقي المعاصر سندباد نموذجاً ." (أ.م.د علي قهرماني- أ.م.د.حميد ولي زاده- علي خالقي - مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب). وهدفت الدراسة إلى امكانية التوصّل الى صحوة ونظرة جامعة تجاه الرمز وظاهرة تجميد الرمز الذي يصيبه أكثر من الشعراء.
وتوصّلت الدراسة الى النتائج التالية :

- يكتسب الرمز في كل قصيدة مدلولاً جديداً، ولا يتجمّد عند مدلول واحد محدّد.
- تجميد الرمز يحوّله الى رمز لغوي عادي فاقد الايحاءات اللامحدودة والقيمة الفنيّة كذلك.
- المغالاة في استعمال الرمز تفقده مدلوله الى درجة عدم الايحاء بالمطلق.

المبحث الأول
الإطار النظري

ينطوي اسم السندباد على ما قد يكون لقبًا في الهند معادلًا للقب حكماء الهند ويعني أمير الحكماء، وهو "مأخوذ من الكلمتين الفارسيتين: (سند آباد) وتعنيان زعيم نهر السند". (بشير، خالد، 2023) والسند من أهم وأطول الأنهار في بلاد باكستان، يبلغ من الطول ثلاثة آلاف ومئة وتسعون كيلومترًا، ويأتي في الترتيب الثالث لأكثر الأنهر ضخامة وتدفقًا في شبه القارة الهندية، وربّما يكون في هذا دلالة على أنّ السندباد كان في يوم من الأيام بحارًا على ساحل يقع في منطقة باكستان. هذا لا ينفي حقيقة أن يكون السندباد أيضًا شخصية تاريخيّة حقيقيّة محبّة للمغامرة والسفر تناقلات الأجيال أخباره وقصص بطولاته بعد وفاته لعديد من السنوات وحكايات السندباد قصّتها شهرزاد للملك شهريار ضمن سلسة حكايات ألف ليلة وليلة في الليلة الثلاثين بعد الخمسمائة(530)، وقالت: "بلغني أنه كان في زمن الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد بمدينة بغداد رجل يقال له السندباد الحمّال"، (ألف ليلة وليلة، المجلد الثالث، ص 115) وهذا ما يحمل على الاعتقاد بأنّ أحداث قصص السندباد جرت في بغداد أيام حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد وذلك بين أعوام 786-809 م. والقصة لا تدور على السندباد الحمّال البري، إذ كان رجلًا فقيرًا معدوم الحال يعيش مما يحمل فوق ظهره، فشاءت الصدف أن يحمل يومًا حملًا ثقيلًا أضناه في يوم قيظ شديد الحرارة، ما أنهكه وأدى الى خوار قواه. فما كان منه إلاّ أن استراح على مصطبة عريضة عند مروره دار رجل تاجر علّه يتنشق بعضًا من النسيم العليل، وما أن حطّ الرحال حتى سمع في ذلك المكان نغم أوتار وعود وأصواتًا مطربة وأنواع إنشاد معرّبة، فطربت نفسه أشدّ الطرب، وما أن تقدّم صوب الصوت الرحيم حتى لحظت عيناه كل أنواع الترف من عبيد وعلماء وخدم وحشم وجواري حسان، وإذا بغلام يدعوه الى الداخل فتمنّع أولًا ثم قبل على مضض ومرّ وقت قليل ان يلمح شيخًا جليلًا قابعًا في وسط الدار التي بدا وكانه واحة جنّاء،

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

لقد استحسن الأخير غناء السندباد البري لأبيات من الشعر ترثي حاله وواقعه المرير، وطابت له رفقته، فروى له قصة شخصية عجيبة لم تكن سوى قصة السندباد البحري بحدّ ذاته، وكيف وصل الى هذه الحالة من الترف والبذخ بعد سفرات عجاب مليئة بالمخاطر والأهوال.

تكلّم السندباد البحري عن أصله في بداية السّفرة الأولى وقال: "اعلموا يا سادة الكرام، انه كان لي أب تاجر وكان من أكابر الناس والتجار" (ألف ليلة وليلة، المجلد الثالث، ص 117) وهذا دال على أصوله الغنية في الأساس. وعلى امتداد مساحة جغرافية متعرّجة حائرة بين قطبي الحقيقة والخيال، أبحر الرحالة الرمز في رحلات سبع ذاق فيها طعم الخطر وحنّ خلالها الى وطنه الأم، انتهت كلّ منها بالعودة سالمًا بأعجوبة ليتكرّر الفعل بعدها والإبحار نحو المجهول من جديد، حتى ليصحّ القول، إنّ السندباد كطائر الفينيق، لا يلبث أن يذوب ويأفل حتى يعود من جديد حاكيًا بالتفصيل مغامراته بلسان طليق وروح ملؤها الشغف والإثارة.

سيميائية الفضاءات:

إنّان سفراته المتلاحقة، تنّقل السندباد بين أماكن عدّة، اختلفت تسمياتها وخصائصها وتنوّعت بين ما هو منفتح ومغلق، جامد ومتحوّل، اصطناعي وطبيعي، داخلي أم مشرّع على الخارج، ونغمة المكان في رحلات السندباد البحري تتوزّع على وتريّ الواقع والخيال، وتتماهى بينهما ساحرة لبّ المتلقي المستمع ناقلة إيّاه الى عالم حافل بالعجائب والغرائب. هذا التضّاد والاختلاف في تمظهر مكان السندباد العجائبي خلق توترًا خاصًا، فعل فعله في تحفيز القارئ على خوض المغامرة دومًا كسبيل أوحد للتغيير والتملّص في رتابة الواقع، ويدور مصطلح العجائبي في فلك مصطلحات العجيب والخارق والأسطوري والفنتازي، وكلّ ما يمت الى ذلك بصلة.

والعجب "انفعال إنساني يعتري الفرد عند استعظامه أو استطرافه أو إنكاره ما يرد عليه" (المنجد في اللغة والإعلام، 1968، ص 488) ويصف الزبيدي كلمة العجيب في ت" الفانتاستيكنه نوع من "الحيرة تعرض للإنسان عند سبب جهل الشيء، وليس سببًا من ذاته، بل هو حال بحسب الإضافة إلى من يعرف السبب" (الزبيدي، محب الدين، 1994، ص 207)، فعدم الإلمام بالشيء وجوانبه، إضافة الى الدهشة المصحوبة بالحيرة والغموض، عوامل أساسيّة يستند عليها مبدأ العجيب، ما يتماشى مع تأكيد القزويني على "أنّ العجيب حيرة تعرض للإنسان، لقصوره على معرفة سبب الشيء، أو عن معرفة كيفية تأثيره فيها" (القزويني، زكريا، 2008) هذا الانفعال الذهني يصبّ في خانة التخيّل الوهمي " الفانتاستيك" الذي عرّفه البعلبكي على أنّه خيالي، وهمي وغير واقعي ويتماشى مع مصطلح الفانتازيا على أنها "ثمرة من ثمرات الخيال الجامح" (البعلبكي، منير، 1982، ص337)، ويستنتج من هذا أن العجيب يمثّل عجز الفرد على تعليل الأشياء وتفسيرها في تباعد ملحوظ عن الواقع.

يصف تودوروف العجائبي ب"التردّد الذي يحسّه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية فيما يواجه حدثًا طبيعيًا حسب الظواهر، إنّ مفهوم العجائبي يتحدّد إذا بالنسبة الى مفهومي الواقع والمتخيّل" (تزفيتان، تودوروف، 1993، ص18) فتماهي الخيال مع الواقع يؤدي بالنتيجة الى إثارة ضرب من ضروب الحيرة في نفس المتلقي، مع إحساس بالمحاكاة والتمازج بين الأخير وشخصيات القصة المصوّرة، إضافة الى نوع من التردّد يفصل حكمًا بين عالمي الواقع وما فوق الطبيعة، حيث يدوم تأثير العجائبي الى حين الاختيار بين العجيب والغريب.

قدّمت شهرزاد روائيًا بلسانها عالمًا سندباديًا ثريًا بتنوعه، يجمع بين الواقع والخيال، ويحفل بتعدّد الأمكنة وغموضها وسط سحر جذاب تفنّن في الاستحواذ على لبّ المتلقي القارئ والسامع معًا، بأسلوب زاخر بمعطيات الغرائبيّة والاندهاش وكسر الرتابة الى حدود الخرافة، وتختال رحلات السندباد في فضاءات ثلاثة تتقاطع فيما بينها، شكلّت مسرحًا تدور عليه الشخصيات وتتحرك فيه الأحداث.

أ- الفضاءات المرجعية:

هي الفضاءات التي تحتوي على مواقع فعليّة في دنيا الواقع أو في المراجع الجغرافيّة والتاريخيّة، وحكايات السندباد زاخرة بأسماء مدن موجودة على الخريطة العالميّة كبغداد والبصرة والسودان، على قدر ما أتاحت المساحة الجغرافيّة للحكواتي في زمانه، وبعض الأماكن تتميّز بصفاتها كدليل على مرجعيتها، كمدينة بغداد التي أطلق عليها الخليفة المنصور العباسي اسم "مدينة السلام" (الحسين، قصي، 2004، ص 88) أو كمدينة القرود التي أتقن فيها السندباد تقنية جمع ثمار جوز الهند، وقد سمّيت نسبة لنوع الحيوانات الموجودة فيها "وهذه المدينة تقع في أقصى بلاد السودان" (ألف ليلة وليلة ، ص154) ما يعتبر مرجعية لأنّ غابات السودان مليئة بأنواع كثيرة من القردة.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

ب- الفضاءات التخيلية:

هي الفضاءات التي من الصعب تأكيد مرجعيتها، سواء من خانة الاسم أو حتى من خانة الصفة، وهذا طبيعي في حكايات ألف ليلة وليلة حيث السرد القصصي الخيالي طاغ بشكل واف، وينبع من خيال قاص للاستئثار باهتمام السامع.

هي أماكن لفظيّة غير موجودة على الخرائط طرقت آذان الحمال البري من حكايات بحريّة في وقت بدا الاثنان وجهان لشخص واحد يحمل الاسم نفسه: السندباد، فالأوّل عجوز يتذكّر ماضيه ومغامراته في أصقاع عجائبية ملأى بكائنات خرافيّة وأماكن وهميّة، والثاني مستمع بسيط بهرته قراءة القصص وأذهله ما سمع من عجيب وغريب على لسان ضيفه الثري الحال.

وإنّ فنّ سرد الحكاية هنا يتلّخص في السفر عبر الكلمة وحدها مع ما يتطلّب ذلك من مهارات أكثر من مجرّد تفاعل الحكواتي مع جمهوره المنصت، فالنصوص حكائيّة، والأمكنة من صنع الخيال، وإن كانت جامدة فقد تتحول لاحقًا الى متحرّكة كالجزيرة التي هي "سمكة كبيرة رست في وسط البحر فبنى عليها الرمل فصارت مثل الجزيرة، وقد نبتت عليها الأشجار من قديم الزمان، فلّما تمّ عليها النار أمست بالسخونة فتحركت"، (الف ليلة وليلة، ص 118-119) والجزر التي حلّ فيها السندباد ضيفًا كثيرة، متنوّعة وغير متجانسة، منها ما هو رائع منعش وخير مثال للاستجمام. والآخر مقفر لا حياة فيه مليء بالمصاعب والمشاق وخال من الأشجار والثمار.

فبين جزيرة مليحة شكلّت واحة واستراحة للسندباد، وبين جزيرة جدباء متصحرّة مليئة بالأفاعي كوادي الحيّات، مفارقة بنّاءة من حيث اللعب كلاميًا على كمية السرد الوصفي عند الشعور بالخطر والتعب وعدمه تقريبًا، في فترة ورديّة صافية عادة ما تأتي كتعويض بعد عذابات وأهوال عاشها السندباد.

ج- الفضاءات العجائبية:

تلعب على مسارحها ملكة الخيال، ونصيب حكايات السندباد الأوفر حظًا منها وتنوّع ما هو ظاهر مفتوح، وما هو باطني ذا هويّة مجهولة. والفضاءات العجائبيّة الظاهرة يمكن لمحها بأم العين، تعامل معها السندباد تعامل الإنسان مع الطبيعة كقطعة للأشجار، وبناء فلك من خشب الصندل الثمين، أو مشاهدته ينبوعًا جاريًا من العنبر الخالص الخام، وفي كل ذلك مربح وغبطة وتجربة شخصيّة، إلّا أنّ الكسب لا يدوم، إذ بعض هذه الأماكن الظاهرة مهلكة مميتة كوادي الأفاعي، و"كلّ ذلك الوادي حيات وأفاع، وكلّ واحدة مثل النخلة، ومن عظم خلقتها لو جاءها فيل لابتلعته"، (ألف ليلة وليلة، ص127) ومقابل الفضاءات الطبيعيّة المرئيّة السابق الذكر، ترتسم الفضاءات العجائبيّة الباطنيّة القابعة تحت سقف الأرض، وتتضمّن المغاور والسراديب والممرات المائية تحت إحضان الجبال، والأخيرة اختبرها السندباد متبصرًا فيما سيؤول إليه أمره، والجأ تحت الجبل، "وأدخلت الفلك في هذا المكان وقد صرت في ظلمة شديدة، فأخذتني سنة من النوم من شدة القهر، فنمت على وجهي في الفلك"،(ألف ليلة وليلة، ص160) ولم يتوان السندباد عن تكرار التجربة ولو مع بعض الشعور بالجزع: "خفت على نفسي من الضيق الذي أنا فيه أوّل مرّة في النهر السابق، وأردت أن أوقف الفلك وأطلّع منه الى جانب الجبل، فغلبني الماء، فجذب الفلك وأنا فيه ونزل به تحت الجبل"، (ألف ليلة وليلة، ص166) الشعور بالخوف انتاب السندباد أيضًا يوم رمت به الأقدار في جوف مغارة الموتى حيث لا حياة ولا نور: "وأما أنا فإنّي رأيت في تلك المغارة أمواتًا كثيرة ورائحتها منتنة كريهة... ثم إني صرت لا أعرف الليل من النهار"، (ألف ليلة وليلة، ص147) والهلاك قد يأتي من باطن الأرض، ومن خارجها أيضًا وتحديدًا من أماكن اصطناعية مهلكة تدخّل الإنسان في تشكيلها كقصر يقطنه مارد عجائبي عملاق، حوّل رفاق السندباد الى وليمة دسمة، وأوّلهم ريس المركب الذي "قلّبه على الجمر استوى لحمه وأطلعه من النار. ان تغيير الفضاءات والانتقال من واحد الى آخر يؤول الولوج في عالم تتشابك فيه الأمور وتتلاقى الأضداد ما ينبع قلقًا جليًا عند السندباد، والشعور بالذنب دومًا عند اشتداد المصائب، قلق لا يلبث أن يزول وتحل محله الطمأنينة وصفاء البال، في فضاء اصطناعي مسالم إبان عودة المراكب الى المركز الأم: بغداد.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

المبحث الثاني
السفر في زمن الذكاء الاصطناعي والعولمة

تربّعت التكنولوجيا الحديثة على عرش العالم الحديث، وأوجدت لنفسها مكانة مرموقة لامست حياة البشر في المكان والزمان، وفرضت على الإنسان حتمية مواجهة التعامل والتعاطي مع مختلف الوسائل التكنولوجية من مواقع وبرامج كومبيوتر وتطبيقات، من أجل أن يصبح التعامل عصريا في انجاز المعاملات بما يضمن له عوامل التبسيط وسرعة الإنجاز.

قبل الحداثة، كان للسفر أو التجوال وظيفة محدّدة غالباً ما تتمثّل بمهنة التجارة كالسندباد البحري موضوع بحثنا الحالي، أو الوظيفة ذات الطابع الديني، وهي نموذج من الثقافة تمامً كسيرة ابن بطوطة الذي سافر من فاس بغية الحج في مكّة، ووصف سفره وما صادفه من بلدان وطرائف في كتبه المختلفة وقد قام بثلاث رحلات جاب فيها العالم المعروف في زمنه دامت 27 سنة (توما، جان، 2014، ص72).

وفي زمن الحداثة، أصبح الهدف من التجوال والسفر بناء الهوية الشخصية الذاتية، من خلال التعرف والانفتاح على عوالم وأماكن أخرى مختلفة. فأتى المستشرقون من الغرب إلى الشرق ليتعرّفوا على الآخر، ما يعني تقييم وتثقيف الذات وتشذيبها بتنوّع الحضارات. وربّما يكون المثال الأدبي على ذلك هو روايتا "كنديد" و"القدر" للأديب الفرنسي فولتير الذي اعترف أنّه كتب الروايتيْن متأثرًا بحكايات ألف ليلة وليلة، أو ما يسميه الافرنج "الليالي العربية"، والفرس "افسان" أو"أقشايه" (البستاني، بطرس، 1955، ص261) التي قرأها لمترجمها أنطوان غالان أربع عشرة مرّة، قراءات متأنية واعية" (عبد الواحد، شريفي، 2000)، وخصوصاً حكاية السندباد البحري والبري على حدّ سواء.

إن قدرة الذكاء الاصطناعي على أداء المهام التي تحاكي العنصر البشري جعلته مفيدًا بشكل خاص للعاملين في صناعة السفر، حيث تتمثل أهميته في توفير الوقت والمال للشركات مع إمكانية القضاء على الأخطاء البشرية أوعلى الأقل تقليلها لتجنب كوارث انسانية، في بعض الأحيان. ان سرعة الاستجابة عبر الانترنت من خلال التطبيقات الذكية، ساهمت في خدمة العملاء بشكل أفضل وخاصة خارج دوام العمل، وهذا ما لم يمكن توفيره سابقاً. ناهيك عن جمع البيانات وتحليلها واستخلاصها سريعاً، والتعامل الذكي مع الحجوزات والأمتعة وكل الشروط التي تتطلبها السلامة العامة من خلال عمل أجهزة الرادار وأنظمة الجي.بي.اس. المتطورة. بناء على كل ما سبق، يمكن افتراض الذكاء الاصطناعي نواة ديناميكية وجوهر الأساس في عصر العولمة.

والعولمة على اتصال بفعل (عولم) على وزن ميزان الصرف العربي (فوعل)، وهذا دال على حضور فاعل يفعل، وينشط استخدام هذا المصطلح في "أدبيات العلوم الاجتماعية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغيير في مجالات مختلفة" (الأيوبي، وفاء، 2012، ص 108) وفق سلسلة عمليات من نشر المعلومات، وإلغاء الحدود بين البلدان الى التقارب وزيادة أوجه التشابه بين مختلف المؤسسات والمجتمعات كذلك. إنّها عملية دمج للأسواق العالمية تحت شعار الرأسماليّة الحرّة برعاية دول القرار ومباركتها، وربّما تكون نظامًا له خصائصه المتميّزة المتكاملة في مجالات التجارة واستثمار رؤوس الأموال والتكنولوجيا تتمكّن من خلاله الشركات التمددّ نحو نطاقات أوسع وأعمّ بسرعة لافتة وكلفة أقّل. لقد خرقت العولمة على بساط الثورة المعلوماتية حدود الدول، وفتحت إلى الافاق بعضها على بعض، وباتت ظاهرة تسليع كل شيء الرّائدة في كلّ مكان، وإذ فرضت العولمة نفسها حدثًا بواسطة التطور البشري، تفاوت التعاطي معها وتعريفها بما يتناسب والمصالح الشخصية، تعريف أول نابع من الإيديولوجيّة الأمريكيّة هدفه إرساء قالب واحد لكلّ الأنظمة العالّمية على شاكلة هوية نظامه دون أي مراعاة لخصوصة الغير الثقافيّة وقيمه الاجتماعيّة، وتعريف ثان يصنّف العولمة كلون من ألوان اختيار الأعلى والأسمى في المهارات كافية، والارتقاء بها كنموذج عالمي كامل تبتغيه كافة المجتمعات الدولية وتضعه هدفًا نصب أعينها.

استفادت العولمة من ثورة الاتصالات وعصر المعلوماتيّة الذهبي لتحاول فرض عالم ذا قطب واحد لصالح مركز القرار الأساسي. فلا شكّ أن تكون مفيدة لبعض المجتمعات وخطرة جدًا على أخرى. فالعولمة تشكّل خطرًا على الهويّة الثقافيّة بالذّات وعلى هويّة المجتمع ككّل، في ظلّ السير في نهج الخصخصة وتحويل الرأسمالية الوطنيّة الى رأسماليّة أجنبيّة بحيث يباح كلّ شيء للعرض والطلب، والهويّة هي الخصوصيّة ومجموعة الأفكار والمثل والمعتقدات التي تشّكل أساس شخصيّة الفرد والمجتمع، فالحضارة والتاريخ واللغة والثقافة هي هويّة الفرد. أمّا الروح المعنوية والكيان الجوهري للأمة فيشكل هويّة المجتمع الأساسّية. إنّ "الهويّة هي وحدة المشاعر الداخليّة

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

التي تتمثّل في العناصر الماديّة والنفسيّة المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز عن سواه، ويشعر بوحدته الذاتية"، (ميكسيللي، أليكس، 1993، ص 108) وهي نفسها تضع الفرد والمجتمع والإنسانية في بوتقة واحدة لتكوين القناعات ضمن محيط اجتماعي معين. يقول عالم النفس، "اريك أريكسون"، ما مفاده أنّ "للهوية شقّين، أحدهما يعود الى الإنسان نفسه (هوية الأنا)، والآخر يعود الى مجتمعه (هوية الذات)" (أبو حمدان، ميراي، 2016، ص97) وهي تعكس الوضع الداخلي للفرد مع مختلف أوجهه من ماض وحاضر ومستقبل.

السندباد في زمن العولمة:

ومن هذه النقطة بالذات، يتساءل الباحثان عن مدى تأثير العولمة وأدواتها المتمثلة بالذكاء الاصطناعي، على هوية السندباد واستدامة دوره الملهم للجيل الطالع. اعتمادًا على المنهج الوصفي التحليلي التاريخي في سرد رحلات السندباد مع الحرص خلالها على اظهار أدق التفاصيل.

لقد ولد السندباد المغامر من رحم تراث العرب الأدبي، وامتاز بأنّه كان من عامة الشعب، بسيط الحال متواضع، إنّما يتمتع بقلب مغوار جسور مكّنه من تجوال المحيطات طولًا وعرضًا زارعًا بذور الخير في كلّ تراب أرض وطئتها قدماه، ورغم كل المصاعب، ينجح في المحافظة على سلامته ويعود، ولو بعد زمن، الى أحضان منزله ظافرًا بالغنيمة والمال.

ومعنى قول "غامر فلان"، يعني أن رمى بنفسه في الأهوال والشدائد من دون أن يعتريه الخوف، لأنّه واثق من الانتصار. أمّا هامش الربح والخسارة، فتتراوح نسبته طبقًا لنوع المغامرة وشدّة خطورتها بما لا يزعزع أحلام المغامر المصر على الاستمرار واصفًا نصب عينيه الانتصار، حتى لو كانت فرص النجاح ضئيلة. بناء على نجاحات سابقة، تبرز قوة الإرادة والتصميم على خوض مغامرة جديدة ذا أفق مجهول حيث الإقدام والجرأة والثقة بالنفس، وإتخاذ القرار الحكيم الصائب من متطلبات المرحلة. وأنواع المغامرات كثيرة من قرارات سياسية وصفقات تبادل تجاري وعقود ديبلوماسيّة الى مغامرات استكشاف ومحاولة سبر أغوار نائية ورحلات بحرّية كرحلات السندباد البحرية. هي واحدة من أجمل أدب رحلات القصص البحرية المطعمّة بالخيال الجامح الى ما أبعد من الحدود المعروفة، رحلات سبع خطّها السندباد على صفحات المحيط متخبطًا في زبده، وعاد كل مرّة مصحوبًا بإكليل الغار وبالغنائم المادية.

رحلات السندباد السبع

بعد أن أكل مليح الطعام والشراب وعاشر الخلاّن والاصحاب، نفذ مال السندباد بعد حين، ما اضطّره الى بيع كلّ ما يملك من متاع وأثاث سامحًا لنفسه بالسفر بحرًا أملًا في الثروة في بلاد الاغتراب، وما هي إلاّ فترة، حتى رحلت السفينة الى جزيرة " كأنها روضة من رياض الجنّة". (ألف ليلة وليلة، ص 118) وما ان توالف البحارة مع الجزيرة، وتأقلموا داخلها حتى حدث ما لم يكن في الحسبان: زلزال قوي أثار الرعب في النفوس، لا بل هي الجزيرة نفسها تزلزلت اذ لم تكن سوى عبارة عن حوت عملاق نبت العشب والنخيل على ظهره من قديم الزمان، واستشعر لهب الحرارة نتيجة النار التي أوقدها البحارة على ظهره.

وضخامة هذا الحوت تتقاطع مع ما رآه البحارة من سمك عملاق أثناء وجودهم في غياهب المحيط، في رحلته وحتى تتشابه مع قصة النساك الإيرلنديين الذين رافقوا القديس "براندن" (Brendan) صوب جزيرة الفردوس التي "وصلها بعد سبع سنوات من الإبحار، ذاق خلالها طعم عجائب الأرض برحلة ما بعد الحياة." ، (DUMEZIL, Bruno, 2016) وكانت كتب الرحلات العربيّة تاريخيّة تروي خشية العرب من البحر، وكيف كانوا "ينظرون باستغراب الى بعض مخلوقاته، حتى إنّها تتجسّد أمامهم أشكالًا غريبة، وما نعرفه ملونًا أو ضخمًا أو جميلًا اقترن في الذهن... أبيات البحر الإغريقية،" (الموسوي، محسن، 2016، ص543) وينظرون منذهلين بدرجة لافتة الى أنواع " من السمك الكبير بأحجام الفيلة والجاموس الذي يحيط بالسفن ويمنعها من الحركة" (القزويني، زكريا، 2008، ص109). (صورة رقم 1)

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

رحلة القس براندن الساحرة في اواخر القرن التاسع
صورة رقم:1 DUMEZIL, Bruno: *Le 25eripli mystique de Brendan*, Historia N° special, les voyages, p. 44

وعند غرق السفينة، ونجاة السندباد من الموت الأكيد بالتقاطه لوح خشب عائم على سطح المياه، يتبادر الى الذهن كيفية نجاة أوديسيوس ملك أتيكا بنفس الطريقة، بعد أن صبّ عليه "أبولو" وبوسيدون معًا جام غضبهما ودمرا سفينته بالكامل ما أدّى الى غرق جميع رفاقه البحّارة. عندما وطأ السندباد أرض البرّ من جديد، أخذ يسأل التجار والناس المسافرين عمّا إذّا يعلمون شيئًا عن موطنه بغداد ولم يكن هناك من مجيب. وفي جزيرة كابل، تناهى الى مسامعه أصناف أصوات من ضرب الطبول والدفوف كما رأى " في البحر سمكة طولها مائتا ذراع، وأيضًا وجهها مثل وجه البوم" (ألف ليلة وليلة، ص 122) ومقدرًا لا بأس به من العجب والغرابة، وبعد أن حكى السندباد لرئيس الميناء قصتّه التي بدأت منذ غرقه على ظهر الحوت العملاق، يدرك الجميع بأنّ السندباد البحري حي يرزق، وهو واقف أمامهم بعد أن فقد الجميع أي أمل بالعثور عليه على قيد الحياة.

وتوجّه بعد ذلك السندباد الى البصرة مثقلًا بالبضائع والهدايا مكرّمًا لصدقه وصفاء نيته، ومن ثمّ الى بغداد فحارته حيث اشترى ماشية كبيرة من خدم وحشم وعبيد وعاشر الكثير من الأصحاب والخلاّن، وغفل عن باله كل ما قاساه في الغربة من جوع، وعطش ومآس وأهوال.

وتوالت الرحلات وتعددت المخاطر من مختلف الأحجام والأشكال والألوان. عظمة الرّخ وكبر جناحيه، جاءت على لسان شهرزاد وعلى لسان ابن بطوطة أيضاً، الذي قال:"... ان الذي تخيلناه جبلاً هو الرخّ، وان رآنا أهلكنا..." بعد معاينة ريشة الطائر وقياسها عن كثب (G. O. Christine, 2016, p26). فالشمس احتجبت وأظلم الجو في عزّ الصيف، ما زاد من تعجّب السندباد لهذه الظاهرة الفريدة من نوعها، وسرعان ما تبيّن له أن ما حدث لا يتعدّى كونه طائرًا عظيم الحجم على ما حكاه قديمًا رهط من أهل السفر والسوّاح "وهي أن في بعض الجزائر طيرًا عظيمًا يقال له الرّخ يزن أولاده بالأفيال" (ألف ليلة وليلة، ص 126) وأنّ القبة العظيمة البيضاء التي لمحها ما هي إلاّ بيضة هذا الطائر التي يزود عنها بشتّى الوسائل. وخطر الرخ، لا يقل شأناً عن خطر القرود الذين أحاطوا بالسفينة من كل جانب وهم ذوو خلقة بشعة يكلّل بدنهم الشعر الأسود، مستوحشون من الأنس بطبعهم ولسانهم مبلبل لا يفهم منه شيئًا، وخطر ساكن القصر السيكلوب المارد ذو العين الواحدة، آكل البحارة رفاق السندباد وراجم السفن بالجلاميد العملاقة.

وفي رحلة اخرى، كان لحبس السندباد في مغارة مظلمة مخلفين معه بعض الماء وأرغفة خبز لا يتجاوز عددهم السبعة وقع مختلف تماماً عما سبق. والتقاطع بين الدخول الى مغارة لاسكو ومغارة السندباد، أو كهف علي بابا

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

وعلاء الدين، يتمحور حول خصوصية المكان وابتعاده عن عالم الأنس. فالهدوء سيد الموقف والضوضاء لا يتعرّف عليها أحد، هذا بالإضافة الى احتواء المكان مجموعة ثمينة من الكنوز الدفينة، سواء كانت مادية من ذهب ومجوهرات وقطع أثرية أم فنية من رسومات وغيرها.

بعد أكثر "من خمسة وسبعين سنة على اكتشافها، وأكثر من نصف قرن على إغلاقها أمام العامة، لا زالت لاسكو تبهر" (Germinal, Piero, 2016, p6) قطيع من الماموث باللون الأحمر يقف شاهدًا على مرّ السنين، البعض منه يرتاح والبعض الآخر في قلب الحركة، وفي كلتا الحالتين " منح التخطيط بالفحم الأسود دفعًا لمشهدية ديناميكية متحركة أعطت حياة لهذه الحيوانات الضخمة مع مؤثّرات منوّعة"، (NATHAN, Fernand, 1991, p8) مجموعة من الأحاسيس والمشاعر تختلج صدر الفرد الداخل الى المغارة، من شعور فني أمام أعمال رائعة، الى شعور بالهدوء العذب الى درجة الإحساس بالخوف فشعور بملاقاة فناني ورسامي حقبة ما قبل التاريخ. من هنا يبدو الوالج داخل كهف لاسكو وكأنه داخل الى رحم الكون حيث السكون والصفاء. قصص لاسكو المصورة طبعت على الجدران داخل صمت مطبق مخيف لم يخرقه إلاّ كهف الأموات، فقد طبعت في ذاكرة السندباد ما حتّم عليه قصّها فيما بعد الى السندباد البرّي وبالتالي الى المتلقي، لا رسامين هنا ولا فنانين. صمت مخيف ورائحة الموت تفوح من كل صوب ومكان. شريط حياة السندباد المصوّر مرّ بسرعة أمام ناظريه وكأنه يستعرضه سريعًا مخافة أن يطبق الموت بجناحيه على الفريسة المرتعشة.

لعب الحظ دوره في نجاة البحار حيث كان التنقل من جزيرة لأخرى هاجسه الأوحد، الى ان بات أسير شيخ يتكلّم بالإشارة لا يقدر على النهوض من دون تلقي يد المساعدة، حمله على أكتافه بناء على طلبه لنقله الى الساقية المجاورة، وهنا كانت المفاجأة حين أبى النزول متشبثًا برجليه بقوة عاصرًا رقبة السندباد حتى درجة الاختناق ما أنهك الأخير وغيّب وجوده وأظلم الدنيا في عينيه.

في سفرته السادسة، وانطلاقًا من مرفأ البصرة، تاه مركب السندباد في خضّم الأزرق الكبير، وخرج من مياه البحر المعروفة ليدخل مجالًا آخر غير ملّم بمسالكه، وما أن قويت الريح، حتى انكسرت دفة المركب بالقرب من جبل شاهق الارتفاع، وأدّى الارتطام الى تبعثر ألواح السفينة وبعثرّة محتوياتها (صورة رقم 2)، فغرق من غرق ونجا من نجا باللجوء الى شاطئ الجزيرة. وكان الحظ حليف السندباد، فما أن وطأت قدماه اليابسة حتى بادر الى استكشاف المكان وهاله ما صادف من أموال وجواهر ومعادن في وسط مجرى ماء عين تتدفّق من أسفل الجبل.

و"رأينا شيئًا كثيرًا في تلك الجزيرة من أغلى العود الصيني والعود القماري"، (ألف ليلة وليلة، ص158) جملة تختصر ما وقعت عليه عينا السندباد من نفائس، ودلالة المال وغوايته تظهر هنا جليًا في خانة الأفعال بينما الفاعل المتلقي مأخوذ بالرغبة لا يلقي بالًا، والجواهر هنا ليست عبارة عن شكل امرأة فاتنة غاوية لعوب تجذب الآخر أو تقصيه، بل تظهر وفيرة "تكتسب في الفضاء الصامت كلامها الخاص، شاجبًا أو مدينًا أو ملوحًا أو مغريًا أو مستدرجًا"، (الموسوي، م. جاسم، 2016، ص538) وتفعل فعلها في القارئ الذي يتأمل ويعاين الصمت ضمن اختبار لذات المشاهد الداخل في حوار مع النفس مصحوب برهبة المشهد ولذّة الرغبة.

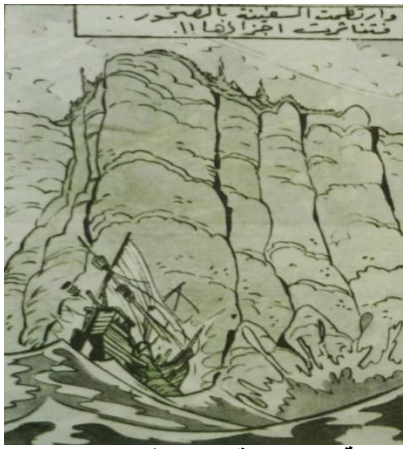

سفينة السندباد قبيل ارتطامها بالصخور

صورة رقم: 2 رحلات السندباد: الكنز المدفون، المجلد الثاني، بيروت، لبنان، ص. 15

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

سال العنبر الخام من شدّة قيظ النهار وتجمّد وتغيّر لونه عندما قذفته الأمواج الى الشاطئ، فصار سلعة دسمة للتجار والسواح على السواء. وبسبب قلّة الزاد، خطف الموت رفاق السندباد الواحد تلو الآخر حتى أمسى وحيدًا في الجزيرة متحسّرًا على حاله حاسبًا لآخرته ألف حساب، وما أن تناهى الى مسامعه خبر جماعة جهزّت مركبا للسفر الى البصرة، حتى فعل الحنين فعله فقام يستأذن الملك للرجوع الى الوطن. فما كان من الأخير إلاّ بارك مرسلًا هدية مع السندباد الى الخليفة هارون الرشيد محطّ إعجابه وتقديره. وفي دار السلام، سلّم السندباد الأمانة سارداً للخليفة بالتفصيل كلّ ما جرى بالتمام والكمال.

بعد سرد الرحلة السادسة، بات السندباد الحمّال البري في قصر السندباد البحري. ولما طلع الصباح وأقبل القوم، كان الجميع متلهفًا لما سوف يقوله الأخير عن مغامراته السابقة والأخيرة. من مرفأ البصرة، حملت الرياح المركب الى أقاصي المعمورة حيث لاقى المصاعب والمخاطر وجابه الكائنات البحرية العملاقة وصاهر قوماً من أهل المدينة استقبلوه بالترحاب وعند مخالطتهم، "وجدهم تنقلب حالتهم في كل شهر، فتظهر لهم أجنحة يطيرون بها الى عنان السماء، ولا يبقى متخلفًا في تلك المدينة غير الأطفال والنساء"، (ألف ليلة وليلة، ص168) وما أن طار السندباد في الجو متعلقًا بواحد من هؤلاء الناس، حتى سمع ترنيم الملائكة في قبة السماء فزادت دهشته وتعجّب من كل ما يجري حوله، خاصة عندما أوصته زوجته بعدم معاشرة هؤلاء، لأنّهم من أقرباء الشياطين ولا يحبّذون ذكر الله تعالى. ونصيحتها كانت تقوم على أن يبيع السندباد كل ما يملك ويصحبها الى بلده الأم وهكذا كان، وبعد أن تنقلّوا من بحر الى بحر، ومن شاطئ جزيرة الى أخرى وصلوا بالسلامة الى مرفأ البصرة ومن بعدها الى مدينة بغداد حيث تلاقى الأحباب بعد طول غياب، ولم يزل السندباد البري والبحري في مودّة وعشرة وفرح بعد سرد تفاصيل رحلات بحرية سبع، تفيض بكل أنواع المغامرات والأهوال حتى أتتهم المنية وفرّقتهم عن بعض.

بين الماضي والحاضر

في الزمن الحالي تغيّرت الأهواء وانقلبت المقاييس، ولعب التطوّر العلمي دورًا هامًا في كافة المجالات، وباتت التكنولوجيا رائدة التطور الحضاري. من كومبيوتر ووسائل اتصالات تحت راية الذكاء الاصطناعي تقنية سمعية وبصريّة وتواصليّة الى الإنترنيت والاكتشافات العلمية المتطورة، وغزو الكواكب والفضاء الخارجي، أثبت التقدم العلمي وجوده وبرهن حقيقة واقعة ما كان في الماضي ضربًا من الخيال على صفحات القصة المصوّرة، وبات المتلقي مجالًا مفتوحًا لنهل المزيد مصحوبًا بشهيّة ملحوظة في نظام عولمة قرّب المسافات وازال العوائق، فأضحت الكرة الأرضيّة كلّها وكأنّها قرية واحدة كبيرة.

حلّت الرادارات البحريّة مكان بوصلة السندباد، واختلفت حمولة سفينته من خشب صندل وعنبر وجواهر ومتاع الى طائرات وصواريخ وذخائر مدفعية، وتبدّل اشتياق النفس للسفر الى حبّ التملّك والسيطرة. في الماضي البعيد، كان الاتصال قائمًا على إيفاد مبعوث أو مرسال وحمام زاجل يستغرق ساعات عديدة وحتى أيام، ناهيك عن رسالة موضوعة في قنينة زجاج مغلقة بإحكام هائمة على وجه المياه ومنسيّة، تتقاذفها الأمواج وتلعب بها الأزمان، والآن أضحى الاتصال لاسلكيًا ينتقل في أثير الهواء، وبسرعة فائقة تفوق التصوّر عدا عن مختلف الوسائل المتقدمة للتواصل من واتساب، وفايسبوك، وتويتر، وغيرها.

والمتلقي، الذي كان ينتظر أسبوعًا وبفارغ الشوق، إصدارات الأعداد الجديدة من القصة المصوّرة، لمعاينة البطل ولمس صورته والارتشاف من مغامراته، بات قادرًا وبشكل سريع على معاينة كافة المواد المتعلّقة بأبطاله المفضلين عبر الكمبيوتر متصفحًا الإنترنيت، وباحثًا عن كلّ جديد لحظة بلحظة من مغامرات وأخبار وتوجهات وآراء ومواد تسويقيّة إعلانيّة متصّلة وما الى هنالك. في العالم الرقمي، كلّ يوم تتبدّل المعطيات، وكلّ لحظة يطرأ خبر جديد والتواصل قائم على الدوام بين عشاق السندباد وأبطالهم الذين ارتدوا حللًا مختلفة عما كانوا عليه في السابق. في عصر استخدم فيه التطور التكنولوجي الى أقصى الحدود، وحملت المؤثّرات الفنية البصريّة الأفراد الى عوالم خياليّة، تأقلمت ذهنية المتلقّي على واقع حال مغاير وتنوّعت أذواقه وأحاسيسه.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

رحلة السندباد الثامنة

استيقظ السندباد بعد سبات طويل افتقر خلاله الى نسيم البحر العليل وصخب أمواج المحيط الهدّارة، وخيوط الشمس المذّهبة المحبوكة والمترقرقة على هذا النسيج الأزرق اللا متناهي، وما هي لحظة مرّت حتى التفت خلالها حوله ليرى مركبًا فولاذيًا ذا أجنحة حادّة ومحركات لولبيّة، بغنى عن وجود شراع أو صاري أو مرساة وجنزير ضمن أرض جدباء رمليّة حملت من الغبار ما يحجب النظر على المدى البعيد. فنادى الربان مستوضحًا، وقال الأخير" لقد انقرضت السفن الشراعية منذ زمن بعيد، لأنّها لم تعد تصلح لمتطلبات العصر وحلّت محلّها هذه السفن الثقيلة التي تسير على ما يسمّى بالوقود النووي" (زيادنة، صالح، 1994). تيار هوائي بارد لفح وجه السندباد ولوهلة انتفض، كمن انقشعت عيناه على رؤيا دامغة: هو يقف على طريق سريع معبد تكشّف تحت ثنايا الرمال المتناثرة، ويمتّد الى ما لا نهاية ليتصل بمجموعة أخرى ملتوية وملتفة، ذكرته بأفاعي وادي الماس الذي علق فيه قبلاً، وما إن اقترب قليلاً حتى مرّت بمحاذاته سيارات جامحة مطلقة العنان لأبواقها، في نوتة موسيقية هستيريّة، وكأنّها نمل عملاق دبّ هاربًا على غير هدى من نار شعواء التهمت مواطنه الحرجية.

والكلّ في تسابق محموم نحو مركز المدينة حيث ناطحات سحاب باسقة تشبه رقاب الرسام مودجلياني" في تحدّ للجاذبيّة فاغرة أفواهها كعمالقة أكلة لحوم البشر على أسواق غصّت بأناس لباسهم غريب وادواتهم مختلفة وألسنتهم مبلبلة، يتكلّمون بلغات لا يفهمها أحد، واضعين أيديهم، القابضة على أجهزة صغيرة، على آذانهم في وضع مشابه لوضع صدف البحر بغية التقاط إشارة من وراء غياب المحيط، وليس فقط صوت البحر الهادر من يعكر صفو المدينة، فإقلاع الطائرات من على المدارج يشبه الى حد كبير انبعاث طائر الفينيق من الرماد، وكأنّه يذكر بقيامة الجديد بعد كلّ طلعة، ومن اختلط عليه الأمر، احتار بين أسراب الطائرات ورفوف الحمام الشاردة على هواها، بينما حمامة وحيدة زاجلة في الأمس القريب كانت تفي بالمطلوب وأكثر.

في خضم هذا الاختلاف الواضح، وقف السندباد وحيدًا في لباسه التقليدي، والعمامة على رأسه، ترافقه على كتفه سلوته الوحيدة ياسمينة (صورة رقم 3)، التي خالت المدينة قفصًا كبيرًا زاخرًا بكل أنواع الطيور على اختلاف حجمها وأشكالها.

ياسمينة صديقة السندباد الكثيرة الكلام

صورة رقم: 3 رحلات السندباد: الكنز المدفون، المجلد الثاني، بيروت، لبنان، ص. 28

أشرقت الشمس بعد حين، وبانت الأمور على حالها. فلا شجر أيك ملتف، ولا ببغاوات بألوان قوس قزح تتحاكى على الغصون المتمايلة، ولا حواري على ضفاف الأنهر تداعب أنمالها أوتار القيثارة النحيلة، حيث تطفو على سطح المياه رسائل القناني الزجاجية العابرة. فقط، أكوام من الباطون المسلح تحوطها أسلاك كهربائيّة شائكة وموجات كهرومغناطسيّة أسرت المدينة بقالب من المشهديّة الجماليّة الزائفة المستحدثة، حيث لا جوهر ولا أصيل، فقط لافتات شركات تجاريّة حملت اسم السندباد رمزًا للسفر، وأبوابًا إلكترونية تفتح تلقائيًا بمجرد اقتراب الزائر، وأخرى دوّارة تذكّر بباب مغارة علي بابا والأربعين حرامي حيث يوجد الذهب المسروق، وإن كان لا بدّ من كلمة سر، فلا هتاف ولا صراخ، ولا "افتح يا سمسم"، بل بطاقة صغيرة ممغنطة، تحوي الكلمة السريّة، تتيح الولوج لأماكن أخرى مميّزة وخاصة.

إنّه الزمن الجديد، وقت توقفت الأرض عن الدوران وأضحت الأحلام، أو ما تبقى منها، رهينة حقيقة مغايرة تماماً لكلّ ما سبق، وبات الفرد أسير عالم اختلط فيه الحابل بالنابل، وانقلبت كلّ المعايير والموازين، ودخلت المنطقة أتون نزاع مستعر وحالة متزايدة من الانفتاح قدماً صوب المجهول الآتي حكمًا، لا محالة.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

الخاتمة والنتائج:

ذكرت الشهرزاد في حكاياتها سندبادين: بري وبحري، لا فارق بينهما سوى مدى انتماء للمكان شكلًا وأسلوبًا، وحيث تميّز الثاني بباقة من الدلالات المتوافرة نتيجة عدم ارتباطه بالمكان، وانتمائه للبحر الذي أمسى أرضًا، مطلقًا سراح الذات وفاتحًا المكان صوب كلّ اتجاه. صحيح أنّ السندباد ترحّل عن بغداد وابتعد عنها كثيرًا، إلاّ أنّه كلّ مرّة كان يعود الى نقطة البداية، من اليابسة الى المحيط، ومن فضاء الميناء الى فضاء غريب آخر ومن مكان معروف الى آخر غامض مطموس، ومن هويّة الأنا الى هويّة الفرد الآخر.

امتدت فترة الليالي حوالي الثلاثة والثلاثين شهرًا، وهي تقريبًا فترة الحمل والرضاعة، وكأنّ الحكايات جميعها، ومن ضمنها حكايات السندباد، مولود أبصر النور وخرج من الرحم الى معترك الحياة بكلّ ما تحويه من أحداث ومفاصل. وقد صبغت رحلة السندباد ب "حالة من الالتقاء والانزلاق والتصادم بين فضاءين لا يكتمل الوجود ولا تتفتح الكينونة، إلّا بالتقائهما، وبين الفضاء المركّز في الداخل، وفضاء السفر وترحال الخارج، تقلّبت شخصية السندباد بين مفهومي الهوية واللا هويّة، فالغربة البعيدة عن الوطن الأم، والتنقل على امتداد مساحات جغرافيّة شاسعة، يفتحا المجال أمام عدة تساؤلات عن المرجع والهويّة والانتماء تحت مظلّة المعرفة الى درجة السمو حتى نقطة التشبّع، والتشبّع هنا لا علاقة له بالمراكز ولا بالسلطة ولا بالجاه، إنه دينامو الذات الدائر أبدًا في مساحة المكان واللا مكان، وإذا كانت الهويّة مرتبطة بمكان ومساحة جغرافيّة مغلقة معيّنة ومحددّة، فإن اللا هويّة تهيم في اتساع اللا مكان، لا تحدّدها أطر، ولا تعيق حركتها أي نوع من أنواع الحواجز. أطلق السفر بحرًا سراح ذات السندباد، وأعتق الجغرافيا من كلّ حدود والتزامات، وفتح الأمكنة على بعضها البعض وتفلّت من الهوية وجذور المكان ونفاها من أجل حفظها وصونها بالذات.

في قصص الليالي بات السندباد مرجعًا حيًا لا لبس فيه، وثّق بأم العين مشاهداته، وفي عصر العولمة حيث خرقت منظومة التواصل عباب الفضاء، تشكّل السندباد التواصلي بوجوه متعدّدة، ومدّ بساطه الطائر على أثير البث المباشر، فكان السفر عبر الكلمة تجسيدًا لمفهوم المغامرة واختراقًا لحدود المسافات في لحظة ولّدت آلاف السنابدة على طول مدى الموجات الرقمية. في زمن جديد مستحدث، تبعثرّت المعايير وتبدلّت المفاهيم وتباينت المعطيات، حتى الهويّات استفاقت دفعة واحدة في عالم مليء بالصراعات والنزاعات مدفوعاً بكم هائل من التكنولوجيا الرقمية. في خضّم هذه التجاذبات هام السندباد على وجهه. ولا فرق، ما اذا كان قرص الشمس فيما مضى بوصلة السندباد، أم كان نظام الج.ب.س (GPS) العالمي الموصول بالأقمار الصناعية رفيق دربه حالياً عوضاً عن عصفورته ياسمينة، يكفي القول أن المغامر البحري يبقى دوماً أيقونة السفر ورمزاً لكل طامح مثابر وضع نصب عينيه هدفاً سامياً يصبو دوماً لتحقيقه والارتشاف منه.

من داخل صميم كل متلق وفي عمق روح كل مغامر تقبع شخصية بطل في حالة انتظار، بانتظار لحظة الاستدعاء. تمامًا كالجيني في رحم القمقم، ينتظر من يستدعيه مشرعًا له الخروج في أي زمان ومكان. لحظة استثنائية تستمد قوتها من الأفراد أنفسهم وتتطبع بهوائهم وأهواءهم. هو القرار الجريء في اللحظة المنشودة، عند اصحاب القرار ذوي النفوس المتمردة ورواد المغامرة وركوب الخطر. كل فرد هو بحار، خطوة واحدة خارج إطار القصة المصوّرة تكفي لينفلت السندباد في عالم الواقع في حالة تواصل مع القارئ السندبادي الهوية، وجهته ما وراء البحار والكون محيطه اللامتناهي. سفرة السندباد هي سفرة الانسان ذو الهوية الزاخرة بالأحلام والمتجددة باستمرار.

انها سفرة الحياة.

ويبقى السؤال: هل سوف يعود السندباد يومًا ويحط رحاله في مجتمع جديد مغاير تمامًا عن واقع المجتمع الحالي؟ وعن أي نوع من أنواع الهوية يبحث؟ هل سوف يلقي المرساة دون الالتفات الى الوراء؟ وما العمل إذا هبّت رياح التغيير وانتفضت الأشرعة وتأرجح المركب ومن فيه؟

ومن خلال هذه الدراسة استنتجنا ما يلي:

- لطالما شكّل الخيال دعامة الأساس في أدب الرحلات ما أضفى على رحلات السندباد نكهة خاصة متميّزة، والسفر لأجل السفر هو عين المغامرة حصرًا، فعل ارتكبه البشر مرارًا وتكرارًا ولا زالوا.
- ان سهم السندباد يشير أبداً نحو الخارج، ملبيًا نداء المغامرة مصحوباً بحبّ استكشاف بقاع العالم كوسيلة ناجحة من وسائل البلوغ والنضج، حيث يقصي الإحساس بغرابة العالم كلّ إحساس بالخطر المميت، وهذا ما صادفه السندباد خلال سفراته في الأمكنة العجائبيّة الزّاخرة بالإيهام التي تنقّل بينها رغبة لنفسه الذاتية المسيّرة. وإن كانت كلّ رحلة قد حققت غايتها لحساب فاعلها الشخصي، بما حيث إرضاء غريزته ونهمه الى الاستكشاف

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

والمعرفة وغيرهما، إلاّ أنها أصابت هدفًا في مرمى الأنسان ونبض الحياة معًا، فالسفر لا يمكن أن يتوقف عند طرف مشاهداته أنّما يتخطّاها من أجل الوصول الى المبتغى.

- إن بوصلة السندباد تختلف عن أدوات الملاحة وتحديد المواقع المعمول بها حاليًا، ورغبة الذات الواعية تختلف عن رغبات الملاحين الحاليين، فلكّل سفرة حيثياتها وزمانها وفضاءها. إنّ سفرة السندباد سفرة دائمة لا بوصلة لها، إنّها سفرة الحياة في ارتقاء دائم للذات الإنسانية، الى مكانة أسمى حيث كلّ شيء مختلف ومطعّم بنكهة الفردانيّة البراغماتية في عصر اختلفت فيه المعايير، ولبست المفاهيم حلّة جديدة، وموّرست الطقوس بطرق فيها من الحداثة، ومن الجديد الكثير الكثير، وما بقي من أثر الرحالة العرب القدامى سوى ذكر مخطوطات خلّدت مشاهداتهم فيما مضى.

المصادر والمراجع

1. أ.م.د علي قهرماني- أ.م.د.حميد ولي زاده- علي خالقي ، دراسة سنة (2014) بعنوان " ظاهرة تجميد الرمز في الشعر العراقي المعاصر سندباد نموذجاً ". أ.م.د علي قهرماني- أ.م.د.حميد ولي زاده- علي خالقي - مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب.
2. ابو حمدان، ميراي: العلاقة بين اللغة والهوية وأثرهما في المنظومة الاجتماعية: شؤون ثقافية، فصلية تصدر عن المديرية العامة للشؤون الثقافية، وزارة الثقافة اللبنانية، العدد 3، تموز – آب – أيلول، 2016، ص. 97
3. أبي القاسم، إبن حوقل: كتاب المسالك والممالك، لبدن، بريل، 1873 م
4. ألف ليلة وليلة، المجلد الثالث، دار ومكتبة الهلال، 2009، بيروت
5. الأيوبي، وفاء محمد حسن: الحضارة والعولمة الى أين؟ دراسات في الحضارة المقارنة، الطبعة الأولى، 2012 ص.208
6. البستاني، بطرس: كتاب دائرة المعارف، مجلد 4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1955، ص. 261
7. البعلبكي، منير: المورد، قاموس إنكليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة، 1982
8. تزفيتان، تودوروف: مدخل للأدب العجائبي، ترجمة الصديق بو علام، ط1، الرباط، 1993
9. توما، جان: أدب الرحلة والرحالون العرب، ط 1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2014، ص. 72
10. الحسين، قصي: موسوعة الحضارة العربية، العصر العباسي، 2004، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان
11. رحلات السندباد: الكنز المدفون، المجلد الثاني، بيروت، لبنان، ص. 15
12. الزبيدي، محب الدين: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق على شبري، ج 2، (1994) دار الفكر، بيروت، ص. 207
13. السيدة أنوار حمود مسعود الصالحي- أ.م.د. مؤيد عبد الوهاب السامرائي، دراسة سنة (2007) بعنوان " قصة السندباد البحري كما يتناولها النقد المعاصر ". - جامعة تكريت -كلية التربية / سامراء
14. عرفين نور فائزة، دراسة سنة (2022) بعنوان: البنية السردية في حكاية السندباد البحري لكامل كيلاني "دراسة تحليلية سردية- تزفيتان تودوروف". قسم اللغة العربية وأدبها- كلية العلوم الانسانية- جامعة مولانا مالك ابراهيم الاسلامية الحكومية مالانج.
URI: http://etheses.uin-malang.ac.id/id/eprint/37063
15. قدور، سكينة: تساقط أقنعة السياب في رحلته الأخيرة، الحداثة، السنة السابعة عشر، العدد 127-128، بيروت، ربيع 2010، ص 243.
16. القزويني، الإمام زكريا بن محمد بن محمود: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، (2008)، بيروت، دار الشرق العربي، ص. 108-109-114-
17. المنجد في اللغة والإعلام، الطبعة السادسة والعشرون، المكتبة الشرقية، ساحة النجمة، 1986، بيروت، لبنان، ص. 488
18. الموسوي، محسن جاسم: الذاكرة الشعبية لمجتمعات ألف ليلة وليلة، السرد ومرجعياته التاريخية وآلياته، ط.1، 2016/03/08، المركز الثقافي العربي، المغرب
19. ميكسيللي، أليكس: الهوية، ط1، ترجمة على وطفه، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، 1993، ص108.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.111.2024.1194
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (111) August 2024
العدد (111) أغسطس 2024

20. NATHAN, Fernand: *le Dessin de Lascaux a Picasso*, Arnoldo Mondadori Editore S.P.A, Milano, 1981 Op.Cit., p.8.
21. DUMEZIL, Bruno: *Le periple mystique de Brendan*, Historia N° special, les voyages.
22. extraordinaires, Juillet, Aout – 2016, N° 3
23. GARDRAT-OUERFELLI, Christine*: Les ombres chinoises de Marco Polo*, Historia, les voyages extraordinaires, Juillet, Aout – 2016, N° 30, p. 26
24. GERMINAL, Peiro: *Lascaux, phare de l'humanité*, Dossiers d'Archeologie, N° 376, Juillet-Août, 2016.
25. NATHAN, Fernand: le Dessin de Lascaux a Picasso, ed. Fernand Nathan (January 1, 1991) , p.8
26. SOURIAN, Etienne: *Vocabulaire d'estehetique*, 2eme edition, Quadrige, presses universitaires de France, 1990, 6, avenue Reille, 75014, Paris.

المقالات:

1. بشير، خالد: حكايات السندباد: من هو وفي اي عصر عاش؟
2. حكايات-السندباد-من-هو-وفي-اي-عصر-عاش؟
3. https://www.hafryat.com/ar/blog/ تاريخ الدخول:2023/11/12
4. زيادنة، صالح: السندباد في رحلته الثامنة، 1994/9/12
5. www.khayma.com/salehzayadneh/maqalat/article04.htm تاريخ الدخول: 2019/3/27
6. عبد الواحد، شريفي: أثر ألف ليلة وليلة في أدب فولتير: الموضوع القصصي، عدد 349، مجلة الموقف الأدبي، اصدار اتحاد كتاب العرب، دمشق، ايار 2000